

الدرس 1) من شرح رسالة ذم قسوة القلب لابن رجب الحنبلي

خالد المصلح

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد. وعلى آله وصحبه اجمعين رسالة في ذم قسوة القلب للامام ابن رجب الحنبلي رحمه الله قال المؤلف رحمه الله تعالى الحمد لله رسالة في ذم قسوة - 00:00:00

القلب وذكر اسبابها وما تؤول به واما ذم القسوة قال الله تعالى ثم نقصت قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة ثم بين وجه كونها اشد قسوة بقوله وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار - 00:00:20

وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء. وان منها لما يهبط من خشية الله. بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب رب العالمين واصلي واسلم على البشير النذير السراج المنير نبينا محمد وعلى اله واصحابه اجمعين. هذه الرسالة المباركة رسالة ذم - 00:00:40

قسوة القلب للامام العلامة الفقيه المحدث الحافظ ابن رجب رحمه الله هي من تحفه ولطائفه و وهي من الرسائل التي يجدر بطالب العلم ان يعتني بها. كسائر رسائل هذا الامام الفذ الجهوري الذي جمع بين - 00:01:00

الفقه والحديث ومقصود العلم من رقة القلب والعناية به. فان له من الرسائل في معالجة امر القلب واصلاحه ما يبين شريف مقامه وعظيم عنايته بهذا الامر وانه رحمه الله كان على دراية تامة بهذا الامر وعناية فائقة بالسبل التي تثمر - 00:01:20

القلب واستقامته. القلب هو تلك المضغة. التي جعلها الله تعالى محلا لفظائل كثيرة فمن اعظم البلاء الذي يصيبها ويفتك بها القسوة. وقد ذكر رحمه الله في هذه الرسالة ذم قسوة القلب والذم هو التقييح والعيب. الذم هو التقييح والعيب. واما قسوة القلب فحقيقة قسوة - 00:01:50

قلب انه مرض عضال اذا اصاب القلب اوشك ان يهلك صاحبه. بل هو هلاك لصاحبه. وقد الله تعالى قسوة القلب عقوبة على انواع والوان من السيئات والمعاصي. هل نحن بحاجة الى مثل هذه الموضوعات - 00:02:24

الجواب نحن في غاية الفاقة والضرورة. وفي منتهى الحاجة لمثل هذه الموضوعات وذلك ان دنيا الناس اليوم اصبح فيها من وسائل الصرف والوان الافتتان والبعد عن الطاعة والاحسان ما يوجب ان يكون الانسان دائما العناية بقلبه. اذ ان القلب من خصائصه انه - 00:02:44

شديد التأثر سريع التقلب. ولذلك قيل وما سمي الانسان الا لانسه. ولا القلب الا انه يتقلب. فالقلب شديد تقلب وهذا التقلب قد لا تظهر اثاره وتبدو ثماره على الجوارح سريعا بل قد يتخلف - 00:03:14

هذا الخلل الذي يدب على القلب او الى القلب فلا يبدو على محيا الانسان وعلى مسلكه الظاهر فيانس ويظن انه في مأمن من الخطر في حين انه اذا قطع عن القلب مادة بقائه وصلاحه لا - 00:03:34

لابد للشجرة التي يبس اصلها ان تتساقط اوراقها. وان تيبس غصونها وان يبدو طال الزمان او قصر. ولذلك يجب يا اخواني ان تكون لنا عناية فائقة بقلوبنا. كيف لا يكون القلب محلاة - 00:03:54

وهو محل نظر الرب جل وعلا والله تعالى لا ينظر الى صورنا ولا الى اجسامنا. كما في الصحيح من حديث ابي هريرة ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اجسامكم ولا - 00:04:14

انظروا الى قلوبكم وفي رواية اعمالكم. نحن الان جميعا اذا اردنا ان نخرج نحضر مناسبة نأتي الى المسجد ننظر في محيانا ونزيل ما يقبح ونجملها بما يحصل. وهذا لان نظر الناس يقع على وجوهنا وظواهرنا. افلا يكون - 00:04:28

هذا منا لقلوبنا وهو محل نظر رب العالمين؟ بلى والله انه احق من تزيين له العبد. لانه الذي اذا تزيين له العبد زانه كل شيء فاذا رضي

الله عن العبد رضي عنه كل شيء وارضى عنه كل شيء واذا سخط الله تعالى ذم العبد فلا رافع له ولا - [00:04:48](#)

مجدي له ان يمدحه الناس وان يثنوا عليه. اذا من موجبات هذا واحد من موجبات عنايتنا بقلوبنا انها محل نظر الرب جل وعلا الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اجسامكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم - [00:05:08](#)

ومن موجبات العناية بالقلب والنظر فيما يصلحه. ان القلوب هي محل المعارف والعلوم فالقلب به يعرف العبد ربه جل وعلا. ولذلك الله تعالى قال الله نور السماوات والارض. مثل نوره كمشكاة فيها - [00:05:23](#)

مصباح المصباح في زجاجة الزجاجه كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور. هذا المثل المضروب للعلم بالله تعالى الذي في قلب العبد. فعلم الله العلم به جل وعلا - [00:05:43](#)

باسمائه وصفاته وكمالاته محلها القلب. ولذلك ينبغي ان ان يظهر هذا المكان. وان يكون على غاية والعناية حتى يحقق حتى يجد العلم مقرا يسلم فيه ويقر فيه والا فان العلم لا يجتمع - [00:06:03](#)

مع قلب مليء بالاولطار والواساخ واللوثات. اذا من موجبات العناية بالقلب انه محل العلم بالله ومحل التدبر لكلام الله جل وعلا قال الله تعالى افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها - [00:06:23](#)

الشرعية من الذي يفهمها؟ القلب. فاذا كان القلب متسخا حيل بينه وبين الفهم. واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه. هذه الحيلولة ليست خبطة عشواء لا سبب لها بل فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم. اذا نعتني بقلوبنا لانهم - [00:06:43](#)

محل التدبر فاذا ما كانت قلوبنا صافية نقية لينة ذليلة لله تعالى متعبدة له فانه لا يفتح لنا في العلم فتحا ننتفع به وننفع به عباد الله كما ان القلب هو المحل الذي نتأمل فيه الايات الكونية. فان القلوب هي التي تجول في الكون تدبرا - [00:07:03](#)

اعتبارا. والله تعالى يقول افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها واذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور قد يرى الانسان ابهر الايات واعظمها ببصره لكنه اغلق عليه الطريق بانصراف قلبه وقسوته وبعده - [00:07:25](#)

عن الهدى والرشاد. هذا ثاني ما يوجب العناية بالقلب انها محل المعارف محل العلم بالله محل تدبر الايات الشرعية محل تدبر الايات الكونية. الثالث من الاسباب التي توجب العناية القلب ان السفر الى الله تعالى ليس بسفر الاقدام ولا بسفر السير على المراكب انما هو سير القلوب الى الله جل وعلا - [00:07:45](#)

يقول ابن القيم رحمه الله قطع المسافة بالقلوب اليه لا بمقاعد الركبان. العبد يقطع المسافة الى الله تعالى بقلبه لا بدني ولذلك هذا القلب يبلغ به اليقين والايمان مبلغا عظيما يرفعه حتى كأنه يطير في السماء - [00:08:10](#)

مما يجد من اللذة والقرب من الله جل وعلا. اذا الموجب الثالث من موجبات العناية بالقلب ان القلب به يسير العبد الى الله فهو المطية هو المركب الذي يسير بك الى الله تعالى. افلا تهیی المركب المناسب الذي يوصلك الى ربك؟ بلى فاعتن بقلبك - [00:08:30](#)

الامر الرابع من موجبات العناية بالقلب ان الاعمال تتفاوت فضيلتها وتباین منزلتها في القبول والاجر في القبول والاجر على حسب ما يقوم في قلب العبد بقلبه السليم ونيته الصالحة يبلغ من الدرجات وينال من المنازل ما لا يناله بظاهر - [00:08:50](#)

بل حتى لو تخلف العمل الظاهر لمانع اما عجز او غير ذلك من الاسباب اذا تخلف العمل الظاهر وكان في القلب من العزيمة والجزم والنية الصادقة لادراك ذلك العمل فانه يبلغه ويناله. ولذلك في حديث انس في - [00:09:16](#)

البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه بعد رجوع من تبوك فان اقواما بالمدينة ما سرتهم مسيرا ولنزلتم شعبا الا الا شاركوكم في الاجر قالوا وهم في المدينة يا رسول الله؟ قال وهم في المدينة حبسهم العذر. وفي رواية حبسهم المرض كما في رواية مسلم من حديث جابر - [00:09:36](#)

فالمقصود ان الاعمال تتفاوت حقيقة بما يقوم في القلب. ولذلك تجد الرجلين في موقف واحد يسجدان كلاهما هذا في اعلى عليين وهذا في اسفل سافلين. الفرق بينهما ان ذلك تحقق له من الاخلاص والاقبال على الله تعالى ما رفعه الى اعلى المقامات - [00:09:56](#)

وذلك الساجد الذي اتفق مع الآخر في الصورة سجد لغير الله تعالى فكان في اسفل السافلين ولذلك يقول ابن القيم رحمه الله فالفضل

عند الله ليس بصورة الاعمال مو بصورة العمل الفضيلة ليست بصورة العمل بل - [00:10:16](#)

بحقائق الايمان فالفضل عند الله ليس بصورة الاعمال بل بحقائق الايمان وتفاضل الاعمال يتبع ما يقوم بقلب صاحبها من البرهان اي من اليقين والاقبال ثم قال حتى يكون العاملان. يعني اللذان يشغلان بعمل واحد كلاهما تبدو لنا في رتبة - [00:10:34](#)
يعني في رتبة واحدة كلاهما يستويان في المنظر هذا وبينهما كما بين السماء والارض في فضل وفي رجحان. ان هذا التفاوت الكبير انما هو باعتبار ما قام في قلبه ولا هذا يركع وهذا يسجد وهذا يسجد وهذا قرأ الفاتحة وهذا قرأ الفاتحة لكن ما الذي جعل هذا - [00:10:54](#)

في اعلى عليين وده في اسفل في مرتبة اسفل منه او لا حظ له من من هذا العمل هو ما قام في قلبه ان كل هذه الامور هي من موجبات العناية بالقلب. وان اخطر ما يصيب القلب هو الافات التي تدب اليه. وتعلق به - [00:11:14](#)
هذه الافات متنوعة منها ما ذكره المؤلف في هذه الرسالة قسوة القلب. هو من اخطر الامراض التي تصيب القلب القلوب ولكن هل هناك امراض اخرى؟ نعم هناك امراض هل هناك اسباب لهذه القسوة؟ نعم هناك اسباب المؤلف رحمه الله يقول الحمد لله رسالة - [00:11:35](#)

افي ذم قسوة القلب يعني بيان قبح قسوة القلب. وشيء من قسوة القلب وما فيه من الذم الواجب في الكتاب والسنة ثم ذكر امرين اسباب هذه القسوة وما هي ثمار نتائج هذه القسوة - [00:11:55](#)
فالمؤلف اعطانا في نصف سطر او في سطر من كلامه رحمه الله المخطط الذي سيسير عليه في هذه الرسالة فهو سيتناول ثلاثة امور الامر الاول لم قسوة القلب الثاني ذكر اسباب هذه القسوة الثالث ما تؤول به اي ما تنتهي اليه - [00:12:15](#)
وما تقضي اليه من السيئات والابرار. قبل ان نذكر ما ذكره المؤلف رحمه الله في هذا الامر ما معنى قسوة القلب؟ القسوة في كلام العرب تطلق على الغلظة. تقول قسى غلط. تقول قسى يبس. فالشرعية - [00:12:35](#)
بس قاسي والغليظ قاسي والقلب كيف يتصور ان يقسو وهو مضغة؟ يعني انت لو تمسك قلب الكافر او قلب المسلم التقى قلب اثقل اتقياء او قلب افجر الفاجرين من حيث الصورة واحد كلاهما مضغة تتحرك لكن هذه القسوة المذكورة امر معنوي - [00:12:55](#)
يصيب القلب فيكون سببا لانصراف الخير عنه ولذلك عرف العلماء قسوة القلب بانها ذهاب اللين والرحمة والخشوع منه ان يتخلى القلب عن اللين ان يتخلى القلب عن الرحمة ان يتخلى القلب عن الخشوع كل هذا من سمات وعلامات القلب - [00:13:18](#)
القاسي واعظم ما يكون من علامات القلب القاسي انخلاعه عن العبودية فالقلب الذي خلع ثوب العبودية ليس قلبا لينا بل هو قلب قاسي وان كان صاحبه قد يتأثر من الموقف ويبيكي للحوادث - [00:13:41](#)
لكن قسوة القلب امر ليس محصورا في تأثر بحدث انما القلب القاسي هو القلب الذي لا يعرف الحق ولا يلتذ به وهو القلب الذي خلا عنه العبودية. الله تعالى ذكر في كتابه قسوة القلب. وذم - [00:13:59](#)

قسوة القلب في مواضع عديدة وبين شيئا من اسباب قسوة القلب ما ذكره المؤلف رحمه الله ذكر في ذلك عدة آيات. قال اما ذم قسوة القلب وهو اول ما ذكره المؤلف رحمه الله من المسائل في هذه الرسالة - [00:14:19](#)
قال تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة. وهذه الآية يا اخواني هي في بني اسرائيل ذكر الله تعالى فيها قسوة قلوبهم بسبب عظيم جرمهم وتعنتهم على انبيائهم فانه - [00:14:37](#)
كانوا على غلظة وجفاء وشدة سوء معاملة للانبياء عليهم الصلاة والسلام لاسيما نبينهم موسى حتى كان الامر كما قال الله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة. وقول - [00:14:57](#)
او اشد قسوة ليس للتنويج. انما هو للترقي. يعني ان لم تكن كالحجارة فهي اشد. وان تنظر الى حجارة الصماء التي هي في القوة الصلابة ما يعرفه كل من رآها - [00:15:17](#)

ومسها قلوب بني ادم التي انخلعت عن الهداية وتركزت سبيل الطاعة هي عند الله تعالى اشد قسوة من هذه الحجارة. وهذا يدل على شدة ما يعتلي القلب من الجفاف. واليبس وانخلاع الخير منه حيث - [00:15:37](#)

يكون اشد صلابة وانتفاعا من الصخرة الصماء والحجارة التي ذكرها الله تعالى. فقلوه جل وعلا ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة. طيب ما العلامات؟ سيأتي بيانها لكن مما ذكره اهل العلم في علامات قسوة القلب ان - [00:15:57](#)
انه لا يخشع لله تعالى ولا يخبت له ولا يخبت له ولا يتأثر بذكره. والله تعالى قد ذكر في مقابل هؤلاء من اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فقال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم. هذا الوصف للقلوب يبين التفاوت - [00:16:17](#)

الكبير والبول الشاسع بين قلب المؤمن المخبت المقبل على الله تعالى وبين قلب الفاجر او الكافر الذي اعرض عن الهدى وتركه والنبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم قد سأل الله تعالى ان يسلم قلبه من من القسوة ففي صحيح الامام مسلم من حديث زيد ابن ارقم - [00:16:37](#)

انه كان يدعو صلى الله عليه وسلم فيقول اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع. فعدم خشوع القلب هو من ابرز علامات قسوته يقول رحمه الله ثم بين وجه كونها اشد قسوة بقوله وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها - [00:16:57](#)

انا اهبط من خشية الله فدل ذلك على رقتها وعظيم ما فيها من النفع مع ذلك قلوب الكفار واهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بالله تعالى اشد قسوة لعدم صدور الخير عنها بالكلية. وقسوة القلب من الافات التي تصيبه وهي تنبئ عن موته - [00:17:19](#)
هي تخبر عن موته فالقلب القاسي قلب ميت والقلوب تنقسم الى ثلاثة اقسام ذكرها اهل العلم رحمهم الله باستقراء النصوص قلب سليم وهو اكملها واطهرها وانقاها وهو الذي يسعد المرء اذا قدم على الله تعالى به. قال الله جل وعلا يوم لا ينفع ما - [00:17:39](#)
ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم. وسلامة القلب تكون بسلامته من الشرك. وبسلامته من المعصية. وبسلامته من البدعة هذا هو اكمل القلوب وهو قلب لين خاشع مخبت يقول الله تعالى في بيان حاله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله - [00:17:59](#)

وجلّت قلوبهم وجلّت قلوبهم الوجّل شعور يعتري القلب يحمله على الاتعاظ والاعتبار والانزجار عما يغضب الجبار سبحانه وبحمده هذا القسم الاول نسأل الله ان يمن علينا بقلب سليم. الثاني القلب الميت وهو القلب القاسي. وان تنظر الى الميت كيف - [00:18:19](#)
ويقسو اذا مات فكذلك القلب اذا مات قسى نعوذ بالله. وقسوته هي في الحقيقة عدم انفعاله بذكر الله تعالى وعدم خشيته وخلوه من الخير فالقلب القاسي قلب خال من الخير. وصفه خير الانام صلى الله عليه وعلى اله - [00:18:39](#)

وسلم في حديث حذيفة في الفتن التي تعرض على القلوب فقال صلى الله عليه وسلم حتى تعود على قلبين على ابيض مثل الصفا لا تضره فتنة وهذا وصفه نصفين هذا هو القلب السليم على ابيض من جهة النظارة ومثل الصفا من حيث القوة والصلاة - [00:18:59](#)
وليست هذه هي القسوة المذمومة انما هذا كما قال شيخ الاسلام رحمه الله لابن القيم اجعل قلبك كالزجاجة من ورائها ما تحذر وتتقي بها ما تخاف. ولا تجعله كالاسفنج كلما جاءه من الشر تشربه حتى يمتلئ - [00:19:19](#)

بالسرور والاثام فهذه الحديث بيان للقسم الاول هذا القسم الاول من القلوب ثم قال صلى الله عليه وسلم في بيان القسم الثاني من القلوب والآخر اسود مرّاد كالكوز مجخيا يعني كالكوب مقلوبا وانقلاب الكوب دليل على - [00:19:39](#)
خلوه لان القرب لا يكون مقلوبا الا اذا كان خاليا حتى اذا كان في شيء خلع فهذا قلب خال عن الخير ولما كان مقلوبا ما قيمة الكوب اذا كان مقلوبا هل له قيمة؟ الكوب هل له قيمة؟ هل ينتفع به اذا كان مقلوبا؟ كذلك القلب اذا كان مقلوبا. فهو كالكوب لا يمكن ان ينتفع به لا - [00:19:59](#)

اجمع خيرا ولا يبقى فيه بر فلا ينتفع به في وجه من الوجوه. وقد ذكر الله تعالى قسوة القلب في كلامه في عدة مواضع ذكرها المؤلف رحمه الله من ذلك قال قال الله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة. وقد ذكرنا ان قوله او اشد قسوة هنا للتوبيخ - [00:20:19](#)

للتراقي بمعنى بل اشد قسوة. وهذا للتراقي حيث قال انها كالحجارة ثم انه بين ان اشد الحجارة فقال او اشد قسوة قال رحمه الله ثم بين وجه كونها اشد قسوة بقوله وان من الحجارة لما يتفجر منه الانعام - [00:20:39](#)
وهذا دليل على الحجارة يمكن ان ينتفع منها بخلاف القلب القاسي فانه لا يحصل من هناك لان ما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشق

فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله. وهذا بيان عظيم تأثير الذكر على القلب تأثير الطاعة والعبادة. على القلب ان -

[00:20:59](#)

ان الحجارة على عظمها وقسوتها وكبير خلقها الا ان الله جل وعلا ذكر ان منها ما يهبط من خشية الله وقد قال الله تعالى في بيان عظيم تأثير الذكر والقرآن على وجه الخصوص على الاشياء قال جل وعلا لو نزلنا هذا القرآن - [00:21:19](#)

على جبل لرأيتته خاشعا متصدعا. شف كيف ذكر الله تعالى وصفين لتأثير القرآن على الجبال الصمامة الخشوع وهذا امر قد لا يبدو ظاهرا لكن لما قال متصدعا التصدع يرى بالعين او لا يرى. يرى فدل ذلك على عظيم تأثير - [00:21:39](#)

القرآن ومن دلائل تأثير القرآن على تأثير القرآن قال الله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى الجواب لكان هذا القرآن. فهذا يبين عظمة قسوة القلب الذي يرد عليه القرآن ولا يؤثر فيه. فهو اشد قسوة من الحجارة التي -

[00:21:59](#)

اخبر الله انه لو انزل عليها القرآن لكانت على هذه الصفة من التأثير الظاهر والباطن لان الخشوع امر ظاهر والتصدع امر باطن فكيف بالقلب القاسي الذي خفي عنه الاثر في ظاهره وفي باطنه - [00:22:19](#)